

الاتجاهات العلمية في دراسات الرأي العام

أ.د. محمود يوسف*

يمثل الرأي العام المصطلح الأهم بين المصطلحات التي تحويها أدبيات الإعلام. وتحاول كافة الأنظمة السياسية كسب تأييده وتعاطفه لصالح دعم سياساتها وبرامجها عبر أدوات وآليات شتى. وتسعى الحكومات للتجاوب مع تطلعاته وطموحاته. كما أن الأحزاب السياسية معنية برصد اتجاهاته والتفاعل معه، كما تبذل هذه الأحزاب جهوداً مستمرة للحصول على تأييده واستقطاب أعضاء جدد من بين أفرادها.

تضعه المنظمات الدولية والإقليمية في حساباتها إدراكاً منها لأهميته، وأنه يمثل رقماً صعباً في معادلة الصراع بين القوى الدولية والإقليمية.

وتعد الدراسات المتعلقة برصد اتجاهاته موضع اهتمام من كل صاحب سلطة أو قرار.

ولا يمكن أن تتجح أي منظمة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو إنسانية إلخ دون أن تركز على دعمه لها وتأييده لأوجه نشاطها. وتتنشغل مناهج الدراسة في كليات الإعلام، وأقسام العلوم السياسية، ومجال الخدمة الاجتماعية بدراسته والعوامل المؤثرة في تكوينه، والتعرف على اتجاهاته.

كما أن النتائج الخاصة بقياس الرأي العام مثار اهتمام وسائل الإعلام التي تعنى بتحليلها ومعرفة مدلولاتها.

* الأستاذ بقسم العلاقات العامة والإعلان - بكلية الإعلام - جامعة القاهرة

الرأى العام حاضر على موائد السياسيين، ومتواجد لدى الإعلاميين، وشاخص لدى الدعاة والمفكرين، وله وجوده بين اهتمامات الاقتصاديين والرياضيين.

وقد دلت الملاحظات والمتابعات لعطاء الباحثين المهتمين بالرأى العام على أن أساليب دراسته وقياسه ورصده تتم من خلال الطرق والآليات والأدوات التالية:

أولاً: الدراسة الميدانية من خلال عينات علمية:-

ويعد الأداة الأكثر شهرة، وتتم من خلال تطبيق أسئلة تحتويها استمارة استقصاء على عينة ممثلة للجمهور، وتفريغ الإجابات، وتحليل النتائج.

وهناك عدة عوامل يجب مراعاتها عند تطبيق هذه الأداة ضماناً للحصول على نتائج ذات مصداقية:

1- تحديد حجم عينة الدراسة بناء على مشاورات علمية بين هيئة البحث، ومتخصصين فى علم الإحصاء، وخبراء فى القضية التى يثيرها البحث سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو إعلامية... الخ.

2- يجب أن تكون العينة علمية مرتكزة على مبدأ العشوائية، وأن تعكس التباينات والخصائص الموجودة فى المجتمع، حتى يمكن تعميم نتائجها على المجتمع الكلى.

3- أن تخضع الأسئلة المصاغة للقواعد العلمية المعمول بها فى مجال الدراسات العلمية، بحيث لا تكون إيحائية، أو تاريخية يصعب تذكر أحداثها، أو مما يعكس خدشاً لمشاعر المبحوث، أو تطاولاً على قيمه وثوراته.

- 4- أن تخضع الأسئلة لاختبارات الصدق والثبات قبل أن تخرج للتطبيق.
 - 5- أن يتم تطبيق الدراسة عبر باحثين أكفاء يتصفون بالخبرة والأمانة العلمية.
 - 6- أن تحدد هيئة البحث معامل الثقة الذى يتم على أساسه تعميم النتائج على المجتمع ($5\pm$ ، $6\pm$ ، $7\pm$).
 - 7- أن يعهد بتفريغ الاستثمارات، ووضع الجداول والتكرارات والنسب المئوية لأشخاص يتصفون بخبرتهم العالية فى هذا المجال.
 - 8- ألا يعكس التحليل واستخلاص النتائج أى مصالح سياسية أو اقتصادية خلاف الموضوعية وتحرى الدقة العلمية.
 - 9- إن تحقيق النقاط السابقة رهن بوجود هيئة علمية تتبع مؤسسة لها سمعتها وخبرتها ومصداقيتها فى مجال إجراء دراسات وبحوث الرأى العام.
 - 10- أن يخضع تعامل وسائل الإعلام مع نتائج الاستطلاع لاعتبارات موضوعية ذات صلة بالمهنية ومراعاة الضوابط الأخلاقية بعيداً عن الاستخدام الدعائى عبر المبالغة أو التهويل أو التهوين، أو النيل من الآخرين وتشويه سمعتهم.
- ثانياً: دراسة على مضامين وسائل الإعلام التى تعكس اتجاهات الرأى العام:-
- إعمالاً لمبدأ حرية الرأى وإتاحة الفرصة أمام الجماهير للتعبير عن آرائها ووجهات نظرها تجاه القضايا والموضوعات المختلفة، تحرص وسائل الإعلام على تخصيص مساحات وزوايا فى الصحف، وأوقات وبرامج فى الإذاعة والتلفزيون، أمام الجمهور للتعبير عن رأيه.

كما أن مواقع التواصل الاجتماعي تقدم هي الأخرى فرصاً واسعة أمام فئات الجمهور للتعبير عن الرأي في حرية كاملة.

ومع أن هذه المضامين تعكس آراء فئة من الناس هي القادرة على الوصول بشكل أو بآخر للوسيلة، لاعتبارات تتعلق بالمستوى الثقافي، والمستوى الاقتصادي، والعلاقات الاجتماعية، إلا أن بعض الباحثين دأبوا على تقديم دراسات وبحوث تعكس اتجاهات الرأي العام كما تعرضه هذه المضامين.

وباختصار فإن هذه الدراسة تعتمد على آلية التعرف على ما قاله الجمهور عبر الوسيلة.

ويرتبط نجاح هذا النوع من البحوث بعدة عوامل:-

1- اختيار عينة التحليل بدقة وموضوعية، ويميل أساتذة الإعلام إلى استخدام عينة الأسبوع الصناعي.

2- التحديد الدقيق لنوع التحليل المستخدم (الكمي، الكيفي).

3- التحديد الواضح لفئات التحليل ووحداته.

4- إجراء اختبارات الصدق والثبات ضماناً لنجاح الأداة في القياس.

5- تدريب الباحثين المشاركين في عملية التحليل ضماناً لتوحيد تصرفاتهم العلمية، ولاسيما عند كبر حجم عينة التحليل وامتدادها لمدة زمنية طويلة.

ويشير الباحثون عدة انتقادات تتعلق بالاعتماد على مضامين وسائل الإعلام التي تعكس اتجاهات الرأي العام كآلية لدراسة هذه الاتجاهات، ولعل أبرز هذه الانتقادات تتمثل فيما يلي:

- 1- إن عوامل الإبراز والإظهار والإخراج التي تعكس بها الوسيلة المضمون الذى يعكس اتجاهات الرأى العام تتحكم فيها الوسيلة، وهذه العوامل لا يمكن إنكار دورها فى التأثير على الجماهير.
 - 2- إن هذه المضامين التى تعرضها الوسيلة متعلقة بأراء الجماهير قد تخضع للحذف والإضافة من جانب القائمين بالاتصال، كما أن توقيت النشر أو الإذاعة تتحكم فيه الوسيلة. ومن ثم تكون هذه الآراء تعبيراً عن اتجاهات الرأى العام يضاف إليها تدخلات القائم بالاتصال عبر الوسيلة.
 - 3- تبقى هذه المضامين تعبيراً فى النهاية عن شريحة من الجمهور هى الجمهور النشط الذى نجح فى الوصول إلى الوسيلة استناداً لعلمه وثقافته ومستواه الاقتصادى... الخ.
- ومن الأمثلة على هذا النوع من الدراسات التى ترصد اتجاهات الرأى العام عبر مضامين تنقلها وسائل الإعلام، ما يلى:-
- * اتجاهات الشباب مستخدمى مواقع التواصل الاجتماعى نحو قانون التظاهر.
 - * اتجاهات الجماهير كما عكستها مضامين الرأى فى صحيفة الأهرام ناحية آليات مواجهة الإرهاب.
 - * آراء الجماهير فى الصحف القومية تجاه ظاهرة العنف فى الملاعب الرياضية.
 - * رأى الشباب كما عكسته القنوات التليفزيونية الحكومية تجاه تأجيل الانتخابات البرلمانية.
 - * اتجاهات الصفوة المصرية كما أظهرتها القنوات التليفزيونية الخاصة من التعديل الوزارى الأخير.

* الاتجاهات التي يعكسها بريد قراء الصحف المسائية المصرية نحو معالجة ظاهرة العشوائيات.

ثالثًا:- دراسات الرأي العام عبر دراسات من المستوى الثانى:-

يتصدى الباحثون فى مجال الإعلام للتعرف على آراء واتجاهات شرائح متعددة من رأى العام تجاه قضايا وموضوعات سياسية واقتصادية وإعلامية ورياضية... الخ.

ومن هذه الشرائح:-

* شريحة الصفوة على اختلاف أنواعها.

* شريحة الشباب.

* شريحة أعضاء الأحزاب السياسية.

* شريحة طلاب الجامعات.

* شريحة النساء.

* شريحة نشطاء الانترنت.

* شريحة الفلاحين (سكان الريف).

* شريحة العمال.

* شريحة المشتغلين بصناعة الإعلام على اختلاف مهتهم.

* شريحة الرياضيين فى رياضة كرة القدم والسلة وألعاب القوى، وحمل الأثقال.. الخ.

وقد تتجمع مجموعة من الدراسات التى ترصد اتجاهات هذه الشرائح أو بعضها من بعض القضايا والأحداث.

و غالباً ما تتجسد هذه الدراسات فيما يلي:

1- رسائل الماجستير والدكتوراه.

2- البحوث العلمية المحكمة التي تنشرها الدوريات العلمية.

3- المؤتمرات العلمية التي تنعقد في رحاب الجامعات والمعاهد.

ويطلق على مثل هذه الدراسات التي تتصدى لتحليل الدراسات والبحوث التي سبق وأن أجراها آخرون حول موضوع معين دراسات من المستوى الثانى.

ومما يعيب مثل هذه الدراسات كآلية لدراسة اتجاهات الرأى العام ما

يلى:-

1- قد تشتمل هذه الدراسات على دراسات مر على إجرائها وقت طويل حدثت خلاله أحداث ومؤثرات تركت تأثيرها على الرأى العام، وبالتالي لا تعكس صورة الرأى العام الحالية.

2- إن النتائج المستخلصة من هذه الدراسات هى أقرب ما تكون إلى المؤشرات، وهى لا تكتسب مصداقية نتائج الدراسات التي تجرى على عينات علمية ممثلة للجمهور.